12me Année No. 566 — Lundi - 8 - 5 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥٦٦ — « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٨ مايو سنة ١٩٤٤ » — السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٣٨١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ..
٣٨٣ السلك السياسي . ... : الأستاذ راشد رستم ... ..
٣٨٦ شـــعر ناجي ... . : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣٨٩ الألغاز في الأدب العربي ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٣٩١ القرآن الكريم في كتاب « النثر الفني » ... ... : الأستاذ محمد أحمد الغمراوي
٣٩٤ نقل الأديب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٣٩٥ الوادي المقدس [قصيدة] : الأستاذ سيد قطب ... ...
٣٩٦ الشعر الجديد .. .. : الأستاذ الكبير (ا . ع)
٣٩٧ كتابة الاسبانية بالحروف العربية ... ... : السيد أحمد مدينة . . ...
٣٩٧ البيت الذي يعدل ألف بيت : الأديب محمد علي خليل ...
٣٩٧ بقايا نغم ... ... : الأديب عبد القادر محمود ...
٣٩٨ كتاب « الفلاحون » والدكتور غلاب . . ... : الأستاذ (د . خ) . . ..
٣٩٩ محمى حسن . [قصة] : الأستاذ نجيب محفوظ . .

١٧ — دفاع عن البلاغة

٩ — التلاؤم في الأسلوب

بقي الكلام في الصفة الأخيرة من صفات الأسلوب الجامعة وهي : التلاؤم أو الموسيقية أو (الهرمونية) . وإذا بلغنا هذه الصفحة من قضية البلاغة ، فقد بلغنا موضع التهمة التي تُريب المتهِم ، وتعتسف الدليل ، وتنكّر الذوق ، وتُنزل القيم الفنية منزلة العبث . تلك هي تُهمة اللفظ بالأناقة ، والتركيب بالموسيقى ، والأسلوب بالرفعة . ولو كانت هذه التهمة الجريئة تقصد الجمال المزيف والحسن المجتلب لما حكّ في الصدور من ناحيتها شيء ؛ ولكنها تقصد التعبير الجميل الذي يتميز به كلام الأديب عن كلام الناس ، وصوت المغني من صوت الحمار ، ورسم المصور عن تناشير الطفل . والزراية على الجمال اللفظي بهذا التعميم وهذا الإطلاق بدعة من بدع هذا العصر الذي اعتلت به الأذواق واختلت فيه المقاييس . وليس لأكثر البدع مسوّغ من الفطر السليمة والفِكَر الصالحة . إنما هي نزوات في بعض الرءوس ، أو نزغات في بعض النفوس ، تصدر عن شذوذ في الفكر أو حَتَر في الذوق أو عجز عن الكمال . وإلا فكيف تعلل إنكارهم تجميل الأسلوب وهم لا يفتأون كسائر الناس يطلبون الجمال في شتى ضروبه ومختلف صوره ؛ لماذا يثورون على تنميق الكلام بدعوى أن الغرض منه الفهم

والعلم ، ولا يثورون على تزيين الطعام وتحلية الهندام وتزويق المسكن ، والغرض الأصيل منها الغذاء والوقاء ؟ لِمَ لا يقفون موقف الحيوان عند حدود الضرورة من مآرب العيش ومطالب الجسد ، فلا يتفننوا فى تلاؤم الأجزاء فى اللباس المهندم ، ولا يتأنقوا فى تنضيد الألوان على الخِوان الموشّى ، ولا يتنافسوا فى تنجيد الأثاث للبيت المزخرف ؟ وإذا كان أحدهم لا يحب أن يلبس الثوب المرقع ، ولا أن يسكن الكوخ النابى ، ولا أن يتزوج المرأة السيخة ، ولا أن يسلك الطريق الوعر ، ولا أن يركب المركب الخشن ، فلماذا يكره أن يسمع الكلمات العذبة والفِقر المتسقة والجمل الموزونة والأصوات المؤتلفة ، والنظر والسمع فى هذا المقام سواء « فإن هذا حاسة وهذا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب »[1] « وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن إلى ما يوافقه ، وتنفر عما يضاده ويخالفه . والعين تألف الحسن وتقذى بالقبيح ؛ والأنف يرتاح للطيب وينفر للمنتن ؛ والفم يتلذذ بالحلو ويمج المر ؛ والسمع يتشوف للصوت الرائع وينزوى عن الجهير الهائل ؛ واليد تنعم باللين وتتأذى بالخشن ، والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن للمألوف ، ويصغى إلى الصواب ، ويهرب من المحال ، وينقبض عن الوخم ، ويتأخر عن الجافى الغليظ . ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب والروية الفاسدة »[2]

الحق الصريح أن الذين يدّعوننا أن نكتب كما نتكلم إنما يزوّرون حقيقة الفن فيهم بنقيصة العجز منهم ، بدليل أنهم يجدون فى أنفسهم حلاوة الرضا إن وقعت فى كلامهم عفواً كلمة أنيقة أو جملة رشيقة أو سجعة محكمة . ذلك لأن الإنسان يتميز من سائر الحيوان بأن أحاسيسه التى تصل إليه عن طريق المشاعر ، وعواطفه التى تنشأ فيه من فعل الغرائز ، إنما تتوالد فى ذهنه وتتكاثر فى خياله حتى تزيد على ما تقتضيه طبيعة وجوده أضعافاً مضاعفة . هذا القدر الموفور المذخور من العواطف والأحاسيس لم يزل يطلب متنَفّساً ينبثق منه ومفيضاً ينسرب فيه حتى وجد الفنون الجميلة الأربعة فاستفاض مخزونه واستعلن مكنونه بتسجيع القلم وترجيع القيثار وتلوين الريشة وتمثيل المِنحت . فالإنسان كما قال طاغور فنان فى الكثير الغالب من أمور دنياه ؛ فهو يجمّل الهيئة ويحسّن الشارة وينمق العبارة ويهندس الدار وينقّش الغرف ويزخرف الأثاث وينمنم الحديقة إعلاناً لشعوره وإبرازاً لشخصه وإثباتاً لوجوده

وهو يشيد المعابد الفخمة ، وينصب فيها التماثيل الرائعة ، ويرسم عليها الصور البارعة ، تعبيراً عن مكنون عواطفه لربه ودينه

وهو كذلك يخطط المدائن الجميلة ، ويعبّد الشوارع الطايلة ، وينسق الحدائق العامة ، تنفيساً عن مكظوم عواطفه لأمته ووطنه

من ذلك نعلم أن جمال العبارة وجلال الأسلوب من الصفات المشتركة فى جميع الناس ، تتفق فى الوجود والمظهر ، وتختلف في الطاقة والدرجة . فالعامة يستعملون الوزن والسجع والجناس متى جاشت فى صدورهم عاطفة أو جرت على ألسنهم حكمة ، فمواويلهم وأناشيدهم وأغانيهم موزونة أو موقعة ، وأمثالهم وحكمهم وضوابطهم مزدوجة أو مسجّعة . وكلما سمت الطبقة واتسعت الثقافة وصدق الشعور وصفا الذوق وأرهفت الأذن سما الأسلوب من الجميل إلى الأجمل ، ومن الجليل إلى الأجل ، حتى يبلغ الأوج عند كلام الله . إن جمال اللفظ وطلاوة التعبير تابعان لقوة العاطفة وجلالة الموضوع ، لا فرق فى ذلك بين أدب العامة وأدب الخاصة ؛ فلغة القضاء بين البدو لا تزال إلى اليوم فى بوادى العروبة تجرى على سَنَنها المتبع فى الفصاحة وإن كانت عامية ؛ فالمتهِم يتهم بالسجع ، والمدافع يدافع بالسجع ، والقاضي يحكم بالسجع . والأصل فى سجع الكهان الجاهليين ذلك السمو الذى كان يحسه الكاهن فى نفسه وفى مقامه ؛ فقد كان كهان العرب ككهان الإغريق يزعمون أنهم مهبط الإلهام وأنجياء الأرباب ، فكانوا يسترحمونهم بالأناشيد ، ويستلهمونهم بالأدعية ، ويخبرون الناس بأسرار الغيب فى جمل مختارة الألفاظ مسجوعة الفواصل لتكون أسمى من كلام الناس وأجدر بصدورها عن الآلهة

أريد أن أقول إن توخى الجمال المطبوع فى الأسلوب أصل فى طبائع الناس امتد منها إلى تكوين اللغة وإنشاء الأدب . فإذا سلمت فى المنشىء الفطرة وواتته الملكة وساعده الاطلاع ، وكان قد تضلع من علوم اللسان وأحاط بأسرار اللغة ، صدر عنه الكلام رقيقاً من غير قصد ، أنيقاً من غير كلفة

(للكلام بقية) أحمد حسن الزيات

(١) المثل السائر ص ٥٦ (٢) الصناعتين ص ٤١

السلك السياسي

للأستاذ راشد رستم

(أنشر هذا الحوار تسجيلا لصورة عن جانب من جوانب التفكير في المجتمع الحديث)
الكاتب

أ — ما هذا الحذاء ؟

ب — ما ذا ... ألا يعجبك ؟ إنه من الصنف الغالي ، دفعت ثمناً له خمسة جنيهات ...

— لا . لا أقصد ذلك

— ماذا تقصد ؟

— أقصد لماذا اخترته من هذا الشكل ذي الرقبة ؟

— ولِمَ لا !

— إنها « مُودة » قديمة

— ولماذا إذن يعرضونها الآن للبيع ؟

— ليشتريها أهل « المُودة » القديمة ... ثم ...

— ثم ماذا ؟

— ثم ليشتريها أولئك الذين يلبسون الجوارب التي من الصنف الرخيص ...

— وما دخل هذا في ذلك ؟

— كيف ! ألا تدري ؟ أتقول حقاً ؟

— نعم . لا أدري . لأني ألبس أجود أنواع الجوارب

— ولكن ألا تدري أن رقبة الحذاء تحجب الجوارب عن الأنظار ...

— وماذا في ذلك !

— لا يا أستاذ . لا بد أن تكون جواربك ظاهرة يراها كل من يجالسك . ولا يتم ذلك إلا بلبس حذاء لا رقبة له ...

— أو ترك الحذاء بالمرة ...

— لا تهزأ ... فهذه ملاحظة في محلها ...

— حينئذ إذا كانت هذه القاعدة لها خطورتها فأرجو أن تدلني على طريقة لإظهار جميع ملابسي الداخلية ، فإنها في الواقع من أجود الأصناف ...

أ — هذا له ظرفه الخاص ، ويلوح لي أنك تقتنيها من أجود الأصناف لهذا الظرف الخاص ... ومع ذلك فإن ظروف الإظهار تختلف باختلاف المواقف . ولا أظن أنك تجهل ذلك يا سيد العارفين ...

ب — إن هذه الملاحظات جديدة في نظري ، برغم أني نشأت على أن أعرف مواضع الأشياء ، ولكن أنت أعلم مني في ذلك لأن سلككم يقضي عليكم بمعرفة أشياء كثيرة لا يعرفها الكثيرون الآخرون كما ظهر لي الآن ...

— هذا حقيق ، ولكنه لا يمنع أن يعرف غير رجال السلك كيف يلبسون وكيف يظهرون وكيف يتظاهرون ... ، وها أنت ذا واحد من هؤلاء الراسخين في اللبس ...

— أشكرك . ولكن رجال السلك بدون شك هم النموذج الذي يحتذى في كل المناسبات وكل البلاد

— بهذه المناسبة أتعرف ما هي أحسن طريقة لإظهار القميص الأفرنكي إذا كان من أجود الأصناف ؟

— لا ...

— هي أن تلعب البلياردو ...

— البلياردو ... ! وما هي الصلة بين القميص والبلياردو ... ؟

— ... تدخل صالة اللعب ، وهي عادة كبيرة وفيها ناس كثيرون ، وتأخذ في الاستعداد للعب مع زملائك ، وتتظاهر بعدم تحملك حرارة الصالة وحرارة الحركة ، فتخلع الجاكتة فيظهر القميص فيراه الجميع ...

— عظيم . والجهل باللعب ؟ !

— أمر ثانوي . غير مهم . وكذلك المكسب أو الخسارة . وكذلك « الشئومية » غير مهمة لأن الأغلبية لا تعطي بالا لهذه الاعتبارات ... حتى أنك إذا أتلفت جوخ الخوان ، وهو كما تعلم ثمين جداً ، ... كل ذلك يهون في سبيل إظهار القميص ...

— أمازح أنت أم جاد ، أم أنك تهزأ بمن ليس من سلككم ؟!

— حاشا لي أن أقول غير ما أقصد

— أو تقصد غير ما تقول ...

— وما الفرق ؟

ب — فرق بسيط . غير مهم . هذه كلمة خاطفة ، لا تعطها بألا . كتَّل . كمِّل ...

أ — نعم خذ أنت بالك ودعك من التلاعب بالمعاني وبالألفاظ . فهذا زمانه مضى . وأما الوقت الحاضر فيدعو إلى الكشف والوضوح . والذى أريد أن أقرره من كل الذى جرنا إليه الحديث الآن هو أن الظهرية ، نعم الظهرية ، مسألة هامة جداً

* * *

ب — هذا واضح جداً جداً . ولكن هل معنى ذلك أنك تفضل الظهرية على الحقيقة ؟

— إسمع يا صديقى . إن الحقيقة تعرف شأنها ، وهى موجودة . ولكن الظهرية لا بد لها ممن يخدمها ويعمل لها وفى سبيلها ، وإلا ضعت يا أستاذ بين الحقيقة والناس . . .

— ولكن ألا ترى أنه خير للعاقل أن يفنى فى سبيل الحقيقة من أنه يعيش فى رداء الظهرية !

— إسمع كلامى واعمل بفلسفتى ، مع العلم بأنها فلسفة شاملة للجميع . دع أفلاطون الذى كان يبحث عن الحقيقة . ثم دع الحقيقة كذلك آمنة فى خدرها . إنها إن أرادت الظهور فهي ظاهرة ظاهرة ...

— وأما الظهرية فهى لا شك فى حاجة إلى من يعمل لها أمثالكم ... أليس كذلك ؟

— هو كذلك لا شك ...

— ولكن خبرنى . أليست الحقيقة أولى بهذا المجهود !

— قلت لك إن الحقيقة قوية بذاتها وهى ليست فى حاجة إلى أمثالنا

— أو أن أمثالكم ليسوا فى حاجة إليها !

— هذا وهذا ...

— وخبرنى كذلك ، هل يوجد كثير من أمثالك على هذا الرأى ؟

— الدنيا كلها ...

— أقصد فى سلككم الخاص ...

— الجميع يا أخى . هذا أمر مفروغ منه

— ولكن هل يتعلم الشخص فلسفة الظهرية بعد أن يلتحق بالسلك ، أم هو لا يقبل ضمن السلك إلا إذا كان يعلمها من قبل ؟

— هذا سؤال طيب . نعم الأوفق أن يكون الشخص عالماً بفلسفة الظهرية مستعداً لها قبل أن يدخل السلك ، على أن السلك يعلمه بعد ذلك الدقة فيها وحسن التصرف وحسن السبك ...

— أفادك الله ... إذن سأفكر فيما يصلح لى ...

— أتريد أن تلتحق بالسلك ؟

— لا . لا . أبداً أبداً . إنما أريد أن أفكر فى شأنى وشأن أمثالى وشأن هذه الأفكار ...

* * *

أ — وإلى أن تفكر وتهتدى إلى حل أنظر إلى حذائى وخبرنى عن نوع جلده

— هو جلد ثعبان

— براڤو ! وجلد هذه الحقيبة ؟

— جلد ثعبان كذلك

— براڤو !

— ولكنى لا أدرى إن كان جلد الحقيبة وجلد الحذاء هو من الثعبان ذاته

— هذا لا يهم

— ولكن بالله اشهد . أليست هذه ملاحظة تدل على الدقة وحسن السبك ؟

— أتريد أن تقول إنك تصلح للسلك ؟ وهل فى هذا شك ياصديقى ؟

— ولكن اسمح لى ...

— ماذا ؟

— ملاحظة أخرى وإن كانت ، على ما أظن ، لا تجعلنى صالحاً للسلك . وعلى الأقل فى نظرك أنت

— قل . قل . ما هى ؟

— هل تظن أن من العقل أو من الذوق أو من كليهما معاً ومعهما غيرهما . . . أن يلبس الرجل حذاء من جلد ثعبان ، فى حين أن أحق الناس بذلك هو الجنس اللطيف ؟

وما المانع يا أخى !

— والله إذا كانت المسألة مسألة مانع ، فإن الموانع كثيرة . هذا إن أردت الحقيقة . ولـكن لا . لا . لا تؤاخذنى فإن الحقيقة فى خدرها ...

— أنا لا أرى مانعاً ما دمت تملك المال الذى تشترى به جلد ثعبان وتصنع منه الحذاء وحقيبة السفر وحقيبة الورق وحقيبة الجيب الخ ...

— وهل المسألة مسألة فلوس ؟ وليس للاعتبارات الأخرى أى تقدير ؟!

— أى اعتبـارات أخرى ! مع العلم بأن جلد الثعبان ثمين جداً وهو « مودة » حديثة جداً

— لا أقصد كل هذا

— إذن أنت تقول ما لا تقصد ... أو تقصد ما لا تقول .

— دعنا من هذا المزاح السياسى ... ولنترك مسألة الجلد وخبرنى عن نوع الجورب الذى تلبسه ....

— من الحرير . ثم انظر إليه وإلى رباط الرقبة وإلى المنديل والقميص

— شيء جميل جداً . كلها من نوع واحد . وهكذا تـكون ملابسك مكونة من مجموعات

— حقاً . إننى أميل إلى هذا الشكل من الملابس

— ولـكن هذا يتطلب تعباً وتفـكيراً ومجهوداً ووقتاً ونقوداً . فهل عملك يسمح بذلك ؟

— من غير شك . مع العلم بأن كل هذا هين فى سبيل ...

— المظهرية ...

— برافوا !.. وهذه هى الحقيقة ...

— نعم . لقد ظهرت من خدرها ...

— ألم أقل لك إنها قوية لا تحتاج إلى أحد

— نعم نعم . ولـكن قل لى ، لماذا أنت تلبس كل هذا اللبس العالى الفخم مع أنك على سفر ؟

***

كان هذا الحديث فى القطار بين بور سعيد والقاهرة . وكان أن الصديقين التقيا فى محطة بور سعيد . وكانت مصادفة أخوية نادرة إذ يلتقيان على هـذه الحال بعد غياب أحدهما فى الخارج غياباً طويلاً . لذلك أسرعا فاتخذا مكانهما فى القطار معاً ، ثم كان ذلك الحديث الطريف ... على أن الصديق (ب) لحظ على صديقه (ا) شيئاً من القلق وعدم الاستقرار ، فسأله الخبر فكان « يتظاهر » أيضاً بأن ذلك من متاعب السفر ... ومع ذلك قام يمشى فى دهليز العربة يفحص الجالسين كمن يبحث عن شخص بالذات . ولما عاد إلى مجلسه من طوافه سأله صديقه عمن يبحث ؟

أ — عن صديق كان معى بالباخرة وسمعته يقول إنه سيسافر فى هذا القطار

ب — وهل وجدته ؟

— للأسف لا ...

— ربما تخلف

— ولـكن كان يهمنى جداً أن يكون موجوداً فى هذا القطار

— هل لى أن أسأل عن سبب اهتمامك به !

— نعم بكل سرور . اسأل ...

— لقد سألت ...

— آه ... نعم ... بالطبع يكون حسناً لو كان معنا ...

— وإذا لم يكن معنا فهل فى هذا ضرر عليك ؟

— لا . ولـكن كنت أود أن يكون معنا

— هل أعرفه ؟

— لا ...

***

ثم جعلا ينتقلان من حـديث إلى حديث إلى أن بلغ القطار محطة الإسماعيلية . ولما تحرك لمواصلة السفر قام الصديق (أ) من مكانه مذعوراً

أ — ها هى ... ها هى ... يا للخسارة !..

— ما بالك يا أخى ؟ من هى ؟ وما هذه الحركات ؟ اجلس اجلس

أ — يا للخسارة ! ولـكن لا تزال الفرصة موجودة . بل لقد سنحت الفرصة

— ما هى الحـكاية ؟ خير ! خير إن شاء الله

— الحـكاية طويلة . وهناك فى الإسماعيلية إن شاء الله ستـكون نقطة التحول فى الموقعة ....

٣ ـ شعر ناجى

للأستاذ دريني خشبة

١ — فصول غير مكتوبة
٢ — قليل عن حياة ناجى وثقافته
٣ — ماذا نرجو من ناجى
٤ — بعض ما يؤخذ على ناجى

لولا خشيتنا ألا ننتهى من الكتابة عن ناجى ومن الثناء عليه، لعقدنا فصولاً طوالاً عن غَزَله الرقيق العذب، وعن فكاهته الحلوة الهادئة، وعن سخريته اللاذعة اللافحة، وعن فلسفته الضاحكة المتفائلة التى تُبطن قليلاً من الشك لا يلبث أن يضفى عليه أضواء إيمانه العميق فيمحقه، وعن وطنيته التى تبشر وتهدى وتتفتح بالآمال فى غير بكاء ولا إعوال ... وعن فهم ناجى لهذه الحياة الجديدة الصاخبة التى تحترب من حولنا وتتفاعل فى دؤوب وجد ... وفى بحار من الدماء أحياناً ...

ولولا خشيتنا ألا ننتهى من الكتابة عن ناجى لعقدنا فصلاً طويلاً عن حياته ونشأته وتعلمه، لنعلم مثلاً أنه ولد فى آخر ليلة من ليالى سنة ٨٩٧، [1] وأنه يكره أن يجعل هذه الليلة تاريخاً لمولده، وأنه يرى من العدل أن يؤرخ لمولده بأول يناير سنة ١٨٩٨، لأنه لم يمش فى القرن التاسع عشر إلا عامين اثنين على حد قوله، وثلاثة أعوام حسب أصول الطرح الصحيح. ثم لنعرف أنه كان تلميذاً نابغاً ذكياً، مثله الآن، لأنه لا يزال تلميذاً نابغاً ذكياً، وإن تغيرت مدرسته فأصبحت مكتبة كبيرة، أو ثلاث مكتبات كبيرات حشد فيها خمسة أو ستة آلاف من كتب الأدب والفكر ... والطب ... وأنه حشد فيها تلك الآلاف من الكتب لا للزينة والتباهى، ولكن للقراءة العميقة المنظمة ... وإن من هذه الكتب، كتباً إنجليزية ـ وهى الكثرة الغالبة وأن منها كتباً فرنسية، وكتباً ألمانية، لأن ناجى، كما أخبرنى، كان مولعاً بالحصول على الشهادات العلمية، ولذلك فهو قد ثقف الإنجليزية والفرنسية والألمانية ليحصل على عدد من الدرجات العلمية من انجلترا ومن ألمانيا. وبعد أن شفى

(١) ولد الشاعر بشبرا القاهرة وهو حفيد الشيخ عبد الله الشرقاوى الكبير وتعلم فى مدرستى باب الشعرية والتوفيقية، ثم تخرج فى مدرسة الطب.

— خير إن شاء الله ... هل وجدت صديقك ؟
— نعم . نعم . وجدتها ...
— من هى ؟ أصديقك هذا سيدة ؟
— سيدة بالطبع ...
— ما أكثر سيداتكم يا « رجال » السلك !
— وهل ظننته رجلاً ؟
— بالطبع . لأنك قلت صديقى ولم تقل صديقتى ...
— ألا تعرف أن صديقى فى عرفنا معناه صديقتى ...
— لا . لم أكن أعرف ...

* * *

جلس الصديق (أ) حائراً ساهماً بعد الذى رأى على إفريز محطة الاسماعيلية، وتولاه شىء من التفكير والوجوم، ثم أخرج سجارة من علبة مصنوعة كذلك من جلد ثعبان. ثم أشعلها بولاعة ذهبية بديعة كان ينقصها أن تكون مغطاة بجلد ثعبان ...

ثم تذكر أنه لم يعرض على صديقه سجارة، فأخرج العلبة مرة أخرى وقدم منها سجارة لصديقه (ب)

ب — (وقد أراد تغيير مجرى الحديث) إنها سجارة مصرية فاخرة. لا شك أنك بمجرد وصولك أرض الوطن أسرعت فاشتريتها
— لا . لا . إنها معى من أوربا
— من أوربا ؟ كيف ؟
— لأنى أدخن السجاير المصرية هناك
— شىء جميل ! ذلك لأنها مصرية
— نعم . ولأن لها ميزة الأفضلية
— (مداعباً) قل الحق . لها ميزة الظهرية ...
— (مبتسماً) ها هى ذى الحقيقة يا سيدى برزت من تلقاء نفسها . أمسرور أنت إذن ؟
ب — بل إن للسلك السياسى لسحراً

راشد رستم

علماء من شهادات هذه البلاد الطبية ، شرع يروى من آدابها بلغاتها الأصلية ، ولعلى لا أبالغ إن ذكرت أن ناجى يجيد الإيطالية إلى حد ما ، وأنه يستطيع أن يقرأ الأدب الإيطالى بلغته الأصلية

كان ينبغى أن نعقد فصلاً عن ثقافة ناجى التى ترتوى بكل هذه الثقافات ، وتنهل من مناهل الآداب العالمية التى تتصل بها اتصالاً منظماً ؛ وربما كانت قد أتيحت لنا فرصة نذكر فيها طريقة ناجى فى تنظيم ثقافاته هذه كلها ، ووضع الحدود بينها حتى لا تصير خليطاً يشحب إلى جانبه لون خاصته الأولى[1] وأعنى قرضه للشعر ؛ فقد كلمنى أحد الأصدقاء عن ناجى فرأيته يزعم أنه أوشك أن ينقطع عن نظم الشعر ، إن لم يكن قد انقطع عن نظمه بالفعل . والذى أعرفه أن ناجى لا يزال يعنى كعادته ، وإن يكن قد انقطع بالفعل عن النظم الكثير بين عامى ١٩٣٤ ، ١٩٣٨ ، وذلك لأسباب لم يحن الوقت لذكرها ، أما بعد سنة ١٩٣٨ ، فقد أخذ ملك الكنار يعود إلى شدوه الأول وشجوه القديم . وليس صحيحاً أن شعر ناجى فى صباه خير من شعره الحالى ، وإن كنت قد أوردت جميع الأمثلة التى ذكرتها فى مقالى السالفين من ذلك الشعر ؛ فقد آثرت أن أفعل ذلك لكي يستطيع من يريد الرجوع إلى شعر ناجى أن يجده مجموعاً فى ديوان مستقل ، لا متفرقاً فى عشرات المجلات ، أو مختزناً فى رأس الشاعر (!!) ... وذلك أن ناجياً لا يقيد شعره فى ديوان أو كراسة ، كما يصنع عباد الله الشعراء ، وهو حين ينظم المقطوعة أو القصيدة فهو إنما ينظمها فى رأسه . . . أى فى ذهنه ، وهو لا يتناول قلماً وقرطاساً ، ثم يخلو إلى نفسه كما يستوحى معظم الشعراء ملائكتهم — أو شياطينهم — ولكنه ينظم شعره كلما هاجته دواعى الشعر وهواجسه ، فهو ينظمه فى الخلوة ، كما ينظمه بين يدى الحبيب . وهو ينظمه فى الحدائق ، كما ينظمه فى زحمة الترام . وهو ينظمه نائماً أو مستيقظاً ...

ونحن نأسف لأن ناجياً لم يجمع شعره منذ سنة ١٩٣٨ إلى الآن فى ديوان يكون بأيدى محبى فنه والمفتونين به من قرائه الكثيرين فى الأمم العربية . وليس يخفف من هذا الأسف أن ثلاثة أرباع هذا الشعر مسجل فى صفحات الرسالة ، لأن هذا التسجيل لا يسعف إلا الأقلين بالرجوع إلى هذا الشعر

***

وبعد . . . فماذا فى جنة ناجى الوارفة الظلال من حَسَكٍ وسَعدانٍ وأشواك ؟ وماذا ينقص هذه الجنة الدانية القطوف مما فى جنات أولئك الشعراء الأمجاد : شلى ، وبيرون ، وكيتس ، ووردذورث ، وسكوتس ، وتنيسون ، وبوب ، وشيكسبير ، وبروننج وغيرهم وغيرهم من شعراء الإنجليز والفرنسيين والألمان والإيطاليين والأسبان وقدماء اليونان ممن كانت أرواحهم تهيمهم حولنا وتغمغم ، وتطل علينا من خزائن كتب ناجى ، وتكاد تُغنّى لنا وأنا أحدثه عنها جميعاً ؟ لقد أوشكت أن أترك هـــذا السؤال بين يدى ناجى ، ثم أفرغ من نقده ! لقد رأيت فوق مكتبه ديوان الشاعر الإنجليزى الشاب كيتس ، فتناولته ثم ضحكت ... ثم أخبرته ، وقد سألنى ، أننى كنت أقرأ فى هذا الديوان قبل أن ألقى ناجى بدقائق ، منظومته الرائعة الخالدة (أنديميون) ... وأننى كنت أقرأها لأعجَبَ من مأساة تأليفها ونقدها ردًّا صامتاً على نقاد هذا الزمان ، الذين يحلو لهم أن يقضوا على شعرائنا الشباب كما قضى نقاد كيتس على كيتس ، فمات فى ريعان الصبا وشرخ الشباب ضحية هؤلاء العلماء الظالمين الذين لا يرضيهم إلا أن يقذفوا فى نار الجحيم بشعرنا وشعرائنا ونقدنا ونقادنا ممن يعرضون أقلامهم وكراماتهم لدفع أذى أولئك العلماء العُتاة الظالمين عن جنود أدبنا ومعقد رجائنا فى مستقبل هذا الأدب

فهل يخشى ناجى أن ينظم لنا غرة مثـــل أنديميون ، أو درة مثل أدونيس ؟ ألا يذكر ناجى أى أثر تركته فى نفسه أدونيس التى نظمها شلى تخليداً لذكرى كيتس ، بمناسبة موته من جراء الحملة الظالمة التى شنها عليه حضرات النقاد الظالمين ؟ لقد جرب ناجى النظم ، وقد أعطانا مثالاً شائقاً فى ديوانه

(١) لا جدال فى أن خاصة ناجى الأولى هى قرض الشعر وإن كان من العدل بل من الانصاف أن نقرر أنه طبيب لا يعدل بمهنته شيئاً فى الحياة ، وأنه يملأ مكتبته بالكتب الطبية التى يدرسها فى عناية وعمق . وكان المرحوم شوقى بك يثق به ثقة لا حد لها حتى كاد يكون ناجى طبيبه الخاص ، وهكذا يصنع كثير من القاهريين . ولناجى قدرة وطلاقة عجيبة فى المحاضرة فى علوم مختلفة بلغات مختلفة .

الصغير المتواضع تحت عنوان : قلب راقصة ... تلك الأقصوصة التي تؤكد ما ذهبنا إليه من نبل مشاعر ناجي وجمال تصويره للحياة وتفجير الشعر من قلبه وتدفقه من دمه ، وقد جرب ناجي نظم الملاحم ، فأنشأ ملحمتيه الرقيقتين اللتين لم تطبعا بعد : الأطلال ، وليالي القاهرة ، وكل منهما في حوالي ألف بيت ... فهل يحسب ناجي أنه أدى واجبه نحو الشعر العربي ، والأدب المصري الحديث ، بهذا القدر الضئيل من الجهد المشترك ؟ أليس يروع ناجي ما يرى من الفراغ المفزع في دواوين شعرائنا شيباً وشباناً ؟ أيستطيع أن يقارن بين هذه الدواوين وبين تلك المئات من دواوين الشعراء الأوربيين الذين كانت أشباحهم تشرف علينا من خزائن كتبه ؟ أخشى أن يكون ناجي شاعراً أنانياً ، يقرأ كل هذا القدر من الشعر ، ولا يعطي الناس غير تلك الصبابات من القصائد والمقطوعات ... إنما نريد تجاوباً بين ناجي وبين أصدقائه بين أولئك الشعراء المحبوسين في خزائنه ... لقد أنجبت مصر ناجياً ليكون بلبلاً من بلابلها التي تأسو بغنائها أضعاف ما تأسو بطبها ... لقد أردنا أن نكتب عن ناجي فبدأنا بالكتابة عن قلبه ... فأين قصة ذلك القلب ؟ أين هذه القصة الكبيرة الطويلة ذات الصور والتهاويل التي يجيد ناجي إبداعها ؟ إن بيرون حينما أنشأ دون جوان أو تشيلد هارولد ، وشلي حينما نظم روزاليند وهيلين وقصصه الباكيات الأخر ، وشيكسبير حينما نظم فينوس وأدونيس ... وشعراء الغرب حينما نظموا قصصهم البارع العالي ، إنما كانوا ينظمون قصص قلوبهم الفتية الكبيرة النابضة ... فأين قصص قلوب شعرائنا في غير البيت أو البيتين أو القصيدة أو المقطوعة ؟ ومن غير ناجي ومن هم من طراز ناجي ممن ثقفوا أساليب الأدب الأوربي ، ونهلوا من معينه يستطيعون أن يسدوا تلك الثلمة في الشعر العربي ؟

ولا أستطيع بعد هذا أن ألاحظ سيئاً على أشعار ناجي ، يمكن أن يؤبه له أو يعتد به . وإن كان لا بد من ملاحظة شيء والتصريح به ، فهو هذا التهافت القليل الذي ينتاب بعض أبيات ناجي ... وهو تهافت مادي في غالب الأمر ، أي من ناحية التركيب والأسلوب . ولا شك في أن السبب في ذلك هو ما يأخذ به ناجي نفسه من طريقته العجيبة في قرض شعره ، وبالأحرى ... نظمه أشعاره بتلك الطريقة الغيبية التي لا يستعين فيها بقلم أو قرطاس . ونحن نعرف من علوم النفس والتربية أن الشيء الذي يستعمل الإنسان فيه أكثر من حاسة واحدة تكون دراسته ووعيه أكثر إتقاناً مما إذا اقتصرنا فيه على حاسة واحدة أو حاستين في الوقت الذي نستطيع أن نستعمل فيه أكثر من ذلك . فلو أن ناجياً كان يتناول قلماً وقرطاساً ليدون أشعاره وقت نظمها لاستطاع أن يعيد فيها نظره ويجيل عليها عينيه ، ولأجرى عليها عملية التجويد . وإذا هو أشرك مع عينيه أذنيه ، ثم لسانه ، أي جعل يرددها ، أو (يدندن !) بها ، إن صح أن نستعمل هذا التعبير المصري لجاءت كل أشعاره مصقولة على غرار واحد وتجنب ما يند به ذهنه من الانحراف النحوي أحياناً : كقوله في رثاء المرحوم طانيوس عبده :

إجمع الآن طاقةً غضَّةَ النور تبتسمْ
أهدها روح شاعرٍ خالدٍ بالذي نظمْ

فقد عدّى أهدى بغير لام أو إلى وهي لا تتعدى إلا بهما .

وكقوله في الشك :

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي عند التراب رخيصة كتراب
يا هيكل الحسن المبارك ركنه الساحر النور الطهور رحاب

فقد جرّ رحاب في غير موضع للجر ، وإن احتج بالضرورة الشعرية ، فليس يعيب الشاعر الناضج إلا أن يحتج بها . ومن ذلك استعماله دوى مكان دوّى بالتشديد

وعلى ذكر رثاء طانيوس عبده ... لقد ذكر ناجي أبياتاً لم يكن (يليق !) أن يذكرها قط في ديوانه وإن يكن قد ذكرها في الحفلة ، ولن أزيد الطين بلة فأذكرها هنا

وإلى أن يصدر ناجي الجزء الثاني من ديوانه فنحن نحييه ونعقد عليه أحسن الآمال

دريني خشبة

١ - الألغاز في الأدب العربي

للأستاذ محمود عزت عرفة

اللغز . . . ومرادفاته

قد يبدو لأول وهلة أن الألغاز فن مستحدث تسرب إلى أدبنا العربي في عصوره المتأخرة ، فلهج به المتخلفون من الأدباء حتى أصبح فناً قائماً بذاته ، وغرضاً في النثر وفي الشعر تنصرف إليه الغاية ، وتُصاغ فيه الرسائل والمقطعات ، كما نرى ذلك في العصر التركي وما تلاه من عهود الانحطاط

على أن النظرة الشاملة تنفي عن أذهاننا هـذه الفكرة الخاطئة ، وتكشف لنا عن مدى تسلسل هذا الفن مع العربية منذ أقدم عصورها

والواقع أن الألغاز - وما يجري مجراها - لا تعدو أن تكون ضرباً من التعبير عماده اللقانة والفهم وحسن التأتّي والفطنة من القائل ومن المستمع جميعاً ؛ وتلك نفحات ذهنية كان للعقل العربي منها منذ نشأته أوفر نصيب . واشتقاق « اللغز » في اللغة يشير إلى قدم هذه التسمية أو قدم مدلولها على الأقل ، إن لم يمكن التثبت من إطلاقها على هذا الفن نفسه منذ العهد الجاهلي

يقول قدامة في كتابه نقد النثر : أما اللغز فانه من ألغز اليربوع ولغّز إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ يمنةً ويسرة ، ليعمى بذلك على طالبه ، وهو قول استُعمل فيه اللفظ المتشابه طلباً للمعاياة والمحاجاة

وأورد ابن الأثير قريباً من هذا ثم أضاف : وقيل - يعني في الألغاز - جمع لَغَز بفتح اللام ، وهو ميلك بالشيء عن وجهه . . .

هذا وللغز مرادفات كثيرة يوردها أكثر المصادر من غير تفرقة ولا تحديد ، فيقال له (اللحن) وهو التعريض بالشيء من غير تصريح ، أو الكناية عنه بغيره . ومن ذلك قوله تعالى في صفة المنافقين : (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) قال الزمخشري : أي في نحوه وأسلوبه ، وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أي تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية . . .

ويطلق على اللغز أيضاً المعمّي والمترجم والأغلوطة ، والأحجية والمحاجاة (لدلالة الحجا عليه) ، والأدعية مثل الأحجية . . . وأنشد الجوهري في الصحاح :

أُداعيكَ ما مُستصحَباتٌ مع السُّرى
حِسانٌ وما آثارهُن حسان !

وقال يعني السيوف . ويقال للغز أيضاً (الألقية) وهي ما يلقي بقصد الاختبار وطلب التعجيز ، و (المعاياة) ولعلها من تطلب الإعياء أو إثبات العي . وكل هذه ألفاظ تتقارب معانيها حتى لتكاد تؤول إلى مدلول واحد . ولقد حاول ابن الأثير في « المثل السائر » أن يفرد من بين ذلك ما سماه (المغالطات المنوية) فيجعله نوعاً ، ثم يضم الأحاجي والأغاليط والألغاز والمعميات فيجعلها نوعاً آخر

تقسيم ابن الأثير

وهو يقول عن النوع الأول الذي سماه المغالطات المنوية : حقيقته أن يُذكر معنى من المعاني له « مثل » في شيء آخر أو « نقيض » ، والنقيض أحسن موقعاً وألطف مأخذاً

ويقدم كنموذج لماله « مثل » قول المتنبي في وصف رمح :

يبادر كلَّ ملتفت إليه وثعلبه لثعلبه وجارُ

فمعنى الثعلب المقصود هنا سنان الرمح . ولكن إمكان انطلاق هذا اللفظ على الحيوان المعروف أيضاً ، أتاح للشاعر أن يثبت لفظ (الوجار) على سبيل الجمع بين المثلين : الثعلب الحيوان ووجاره

أما ما يأتي على سبيل « النقيض » فذلك كقول الشاعر - محاجياً في الدواب - :

وما أشياء تشريها بمال فإن نفقت فأكسد ما تكون؟

إذ يقال نفقت السلعة أي راجت ، ونفقت الدابة إذا ماتت

قال ابن الأثير : وموضع المناقضة ههنا في قوله إنها إذا نفقت كسدت ، فجاء بالشيء ونقيضه ، وجعل هذا سبباً لهذا . . .

ويخطّئ ابن الأثير من يُدخل هذا الضرب من المغالطات المنوية في باب الألغاز ؛ ويعيب ذلك على أبي الفرج في أغانيه والحريري في مقاماته

والغز عنده – بعد ذلك – هو كل معنى يستخرج بالحدس والحزْر ، لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازاً ، ولا يفهم من عرضه . ويمثل لذلك بقول الشاعر[1] ملغزاً في الضرس :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته   يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فذ وقعت   عيني عليه افترقنا فرقة الأبد !

على أنه يعود فيتمثل بقول الآخر ملغزاً في (خلخال) :

ومضروب بلا جرم   مليح اللون معشوق
له قد الهلال على   مليح القد ممشوق
وأكثر ما يُرى أبداً   على الأمشاط في سوق !

وواضح أن من السهل إدراج هذا المثل في باب المغالطات المعنوية ؛ إذ الأمشاط والسوق المقصودة هنا هي تلك المواضع المعروفة من الجسم ، ولكن الشاعر غالط في معنى الكلمتين جميعاً ، وأتاح له هذه المغالطة المعنوية (المزدوجة) ما يكون من اقتران سوق البيع والشراء في الأذهان عادة بأمشاط الشعر التي تباع فيها ، حتى لكان مما أضافه ابن الأثير إلى ذلك قوله : بلغني أن بعض الناس سمع هذه الأبيات فقال : لقد دخلت السوق فما رأيت على الأمشاط شيئاً !

هذا وإن المغالطة المعنوية في البيت الأخير – بذكر الشيء ومثله – لشبيهة بما سلكه المتنبي من المغالطة في معنى الثعلب بذكر «مثل» له وهو الوجار . فنرى من ذلك أن اللغز ومرادفاته – ومن بينها المغالطة المعنوية – تدور جميعها حول مدلول واحد أو يكاد يكون واحداً . فمحاولة التفرقة بين معاني هذه المترادفات توشك أن تكون تعسفاً لا محصل منه ومجهوداً لا طائل تحته

لماذا يلغزون ؟

استعمل الفصحاء من قديم هذا الضرب من التعبير الدقيق ناظرين إلى فوائد فيه ، منها رياضة الفكر على تصحيح المعاني واستنباط دقائقها من بطون الألفاظ . ومنها إظهار البراعة في التلبيس والتمويه بتجلية الحق في معرض الباطل وإلباس الممكن ثوب المستحيل . ومنها توليد المعاني الغريبة والتزيد فيها ، وابتكار ما يستثير العجب منها في غموضه ، والإعجاب بعد تجليته وإيضاحه . ومنها صون ما يراد صونه من معاني الكلام وحجبه إلا دون من يُرغب في بذله إليه ؛ وذلك ما يقال له « الرمز » وأصله في اللغة الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم ، ثم أطلق على ما خفي من الكلام وأريد طيه عن سائر الناس مع الإفضاء به إلى بعضهم . قال قدامة في نقد النثر : « وقد أتى في كتب المتقدمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز شيء كثير ، وكان أشدهم استعمالاً للرمز أفلاطون

يضاف إلى هذه الأغراض الدنيوية جميعاً غرض آخر متعلق بالدين ، هو ما يكون من تجنب الكذب الصراح أو اليمين الكاذبة ، مع سلوك سبيل المداراة والإرضاء بالظاهر من القول . وقد جاء في الحديث : رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل مداراة الناس . وإنما يكون ذلك عند التقية ومخاطبة من تخشى بادرته من حاكم غاشم أو سفيه متهجم . ويسمى ابن دريد ذلك (الملاحن) وقد ألف فيه كتاباً فيما سنشير إليه . ويسميه قدامة « المعارضة » وتعريفها عنده أنها المقابلة بين الكلامين المتساويين في اللفظ . قال : وذلك مثل قول بعضهم وقد سأله بعض أهل الدولة العباسية عن قوله في لبس السواد فقال : وهل النور إلا في السواد ! وأراد نور العين في سوادها ، فأرضى السائل ولم يكذب

وضرب قدامة مثلاً من المعارضة في القرآن قول مؤذن يوسف : «أيتها العير إنكم لسارقون» وهم لم يسرقوا الصواع ، وإنما عنى سرقتهم إياه من أبيه

قلت : وشبيه بهذا قوله تعالى على لسان إبراهيم : « بل فعله كبيرهم هذا » يعني أن الصنم الأكبر كان أشدها إغاظة له لما رأى من زيادة تعظيمهم إياه وأقوها – تبعاً لذلك – حملا على التحطيم « والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه » – ففي الآية أسلوب تعريضي جمع بين تبكيتهم ، والتبرؤ من الكذب بإسناد الفعل ظاهراً إلى الصنم

وليس يعد هذا النوع من المعارضة كذباً بوجه ، إذ كان من مأثور قولهم : « في المعاريض مندوحة عن الكذب » . والصدق في اللفظ غير مراد لذاته ، بل لدلالة فيه على الحق ، ومعونة منه على بلوغه . وقد أزال الغزالي ما لعله يتبقى من الشبهة

(١) أبو المظفر أسامة بن منقذ . توفي عام ٥٨٤ هـ

في استعمال (المعاريض) بقوله في شأنها : « الصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير؛ فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته ، صار صادقاً كيفما كان لفظه »

هذا ولم يتفرد متصوفة المسلمين بالإغراب والتعمية في أقوالهم – تقية منهم ومداراة للعامة وظلمة الحكام – وإنما شاركهم في ذلك أهل التصوف من سائر الملل . وسبق هؤلاء جميعاً أهل التفلسف من قدماء الأمم . وقد مرت عبارة قدامة في رموز أفلاطون ، والقفطي في كتابه : « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » يقول عن أفلاطون هذا إنه ألف كتباً كثيرة مشهورة في فنون الحكمة وذهب فيها إلى الرمز والإغلاق

وكان هيرقليس اليوناني يسمى (الفيلسوف المعمّى) لأنه كان لا يتكلم إلا بالألغاز . وينسب مثل هذا إلى أبيذقليس . قال القفطي : ومن الفرقة الباطنية من يقول برأيه ، وينتمي في ذلك إلى مذهبه – يعني مذهب الشك في المعاد – ويزعمون أن له رموزاً قلما يوقف عليها[1] وهي في غالب الظن إيهامات منهم .

(جرجا — يتبع) محمود عزت عرفة

(١) أقول : لعل أبا العلاء كان يشير إلى أمثال هؤلاء بقوله : لقد كذب الذين ظنوا فقالوا : أتى من ربنا أمر برمز

٥ – القرآن الكريم
في كتاب النثر الفني
للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

ويلتحق بزعمه الذي زعم لعرب الجاهلية من نهضة علمية سياسية اجتماعية الخ زعمُه أن نشأة علوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض قديمة ، أي إنها نشأت قبل الإسلام لا بعده[1] وهو يبني هذا الزعم أيضاً على ما افترض من أن القرآن أثر جاهلي

وفي الحق أن جميع ما ارتأى وما افترض في كتابه هذا متصلاً بالقرآن لا يتسق ولا يستقيم في بحث باحث إلا على فرض أن القرآن من كلام عربي من العرب . وهو لم يصرح بهذا كما صرح بإنكار إعجاز القرآن من ناحية الأسلوب ، إلا أن وصفه القرآن بكل ما لا يصدُق إلا على نتاج البيئة دليل قاطع في الموضوع

اقرأ له زيادة على ما قدمنا قوله عن القرآن من صفحة ٤٥ « فلننظر إذن أهو كتاب طبيعي ، أم هو كتاب مملوء بالزخرف والصنعة المحكمة » وقوله « فمن الواجب أن يترك الباحثون ذلك الميدان الذي أولعوا بالجري فيه وهو عصر الدولة العباسية ، وأن يجعلوا ميدان النضال عصر النبوة نفسه ، وأن يحدثونا ما هي الصلات الأدبية والاجتماعية التي وصلت إلى العرب من الخارج فأعطت نثرهم تلك القوة وذلك الزخرف اللذين نراهما مجسمين في القرآن . هنالك نعرف بالبحث أكان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية » . فهذا نص لا يقبل شكاً ولا يحتمل تأويلاً في أن صاحب الكتاب يرى القرآن من كلام العرب تأثر بما تأثروا أو يصح أن يكونوا تأثروا به من صلات أدبية اجتماعية جاءتهم من الخارج ، وأن ما امتلأ به في زعمه من « الزخرف والصنعة المحكمة » ليس طبيعياً كالذي تراه في الزهر والشجر والشفق والسماء ، ولكنه مكتسب مجلوب من الخارج ! ونسي أنه لم يقل بأن القرآن أثر جاهلي إلا لينفي عن العرب أن يكونوا « أخذوا طرائق النثر الفني عن الفرس واليونان » ، فهو يسلبهم كل ما أعطاهم ، بل يشكك حتى في عبقرية القرآن لو كان من صنع عربي ووضعه ، كما ترى من قوله « هنالك نعرف بالبحث أكان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية » . والتقليد هنا ليس هو تقليد عربي لعربي ، ولكن تقليد عربي لأعجمي ، لأن الصلات الخارجية التي يتساءل عنها في النص السابق هي صلات بين العرب ومن حولهم من الأعاجم . فتشكيكه في العبقرية وتجويزه التقليد على القرآن قاطع في أنه لا يرى القرآن من كلام واهب العبقرية وفاطر الإنسان ، ولكن من كلام بشر مشكوك حتى في عبقريته

وصاحب الكتاب يعرف هذا الرأي من نفسه ، ويعرف

(١) الجزء الأول صفحة ٤٧

بعد ما بينه وبين ما عليه المسلمون ؛ كما ترى من قوله بعد ذلك النص « ولكن مثل هذا البحث فى رأيي خطر على الباحثين المسلمين فى الوقت الحاضر : لأن الرأى العام فى مصر والشرق الإسلامي لا يسمح بدرس القرآن درساً تحليلياً يبين ما فيه من العناصر العربية الصميمة والعناصر الدخيلة . والمستشرقون أيضاً لا يهتمون بمثل هذا البحث ، لأن أكثرهم مقتنع بأن العرب لم يكن لهم وجود أدبى قبل الإسلام » . فإذا صح ما نقله هذا الرجل عن المستشرقين فالمستشرقون أقرب منه إلى الإسلام إذ ليس بينهم وبين الإسلام إلا أن يكونوا منطقيين مع أنفسهم ، ويتبعوا النتيجة الحتمية لوجود القرآن مع ما اقتنعوا به من أن العرب لم يكن لهم وجود أدبى قبل الإسلام . أما هو فقد رأيت ما قال

وليس ذلك كل ما قال ، فقد قال أيضاً فى صفحة ٤٦ « وليس أمامنا أى دليل على أن القرآن متأثر تأثراً محسوساً بآداب أخرى أجنبية وإن كان هذا ممكناً لأن العرب قبل الإسلام كانوا على اتصال قليل أو كثير بمن جاورهم »

وقال أيضاً من صفحة ٤٧ « ويمكن الحكم بأن اللغة الأدبية التى سبقت الإسلام لم تكن تخالف كثيراً لغة القرآن ، لأن التطور الكبير الذى ينقل اللغة من أسلوب إلى أسلوب ومن روح إلى روح لا يتم فى خمسين سنة مثلاً ، وإنما يتطلب مدة طويلة ، خصوصاً فى أمة بدوية محافظة قليلة الاختراع والتبديل فى لغتها وأسلوبها » . اقرأ هذا واحكم ما رأى صاحبه فى القرآن ، أأنزله الخالق معجزة للخلق على الدهر ، أم هو من كلام الناس تطور روحه وأسلوبه كما يتطور الروح والأسلوب فى كلام البشر ؟

ثم اقرأ له من صفحة ٥١ : « وإنما ينبغى أن نعتقد أنه كان لهم أدب قوى متين يقرب فى روحه وأسلوبه من روح القرآن وأسلوبه ، فإن البيئة واحدة ، واللغة واحدة ، والعصر واحد » فإذا قرأت له عقب ذلك « ولم يكن محمد إلا بشراً ألهم هداية قومه كما صرح القرآن غير مرة » عرفت أن صاحب الكتاب يرى القرآن من كلام محمد ، وعرفت أيضاً أنه يفترى على القرآن فإن القرآن وإن قال إن محمداً بشر لم يقل إنه ألهم هداية قومه ، فإن مادة « ألهم » لم ترد قط فى القرآن

فإذا قرأت له من صفحة ٦٠ « فإن القرآن يسجع أحياناً ولكنه لا يلتزم السجع ، لذلك نجا من التكلف والابتذال » عجبت لهذا الكاتب المدعى البصر بالفصاحة والبيان ، كيف لم يجد ما يقوله فى سجع القرآن إلا أنه نجا من التكلف والابتذال ! وهو ثناء يشبه الذم لو أنه قيل فى سجع أحد الفصحاء مثل ابن العميد الذى يستحسن صاحب الكتاب سجعاً له كل الاستحسان (صفحة ١٥٧) ، فكيف به وقد قيل فى القرآن

ولعلك لاحظت أنه حين (نجى) القرآن من التكلف والابتذال فى السجع رد ذلك إلى أنه يسجع أحياناً ، أى إلى قلة السجع لا إلى السجع نفسه . فإذا قرأت له قوله من صفحة ٦٥ « ولو تركنا الشكوك فيه من الآثار الجاهلية ، وعدنا إلى نص جاهلى لا ريب فيه وهو القرآن ، لرأينا السجع إحدى سماته الأساسية » لعجبت لهذا الرجل كيف يكتب . ألم يقل قبل إن القرآن يسجع أحياناً ؟ فكيف يجعل السجع الآن إحدى سماته الأساسية ؟

ومثل آخر من إنزاله القرآن منزلة كلام البشر قوله من نفس الصفحة « والقرآن نثر جاهلى ، كما أوضحنا ذلك من قبل ! (والتعجب من عندنا لأنه لم يوضح بأكثر مما قدمنا لك) والسجع فيه يجرى على طريقة جاهلية حين يخاطب القلب والوجدان . ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات ومواقف الثناء والخوف والرجاء سوراً مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنيين ولا تنس أن الوثنية كانت ديناً يؤمن به أهله فى طاعة وخشوع ، وكانت لهم طقوس فى هياكلهم . وكانت تلك الطقوس تؤدى على نحو قريب مما يفعل أهل الكتاب من النصارى واليهود » !

أفترى هذا الكلام يحتاج إلى تعليق ؟! أم هل تريد كلاماً أوضح وأدل على رأى هذا الأفاك ؟ إذن فاقرأ له ما قال بعد

ذلك : « والقرآن وضع لأهله صلوات وترنيات تقرب فى صيغتها الفنية مما كان لأهل الكتاب من صلوات وترنيات ، والفرق بين اللتين يرجع إلى المعانى ويكاد ينعدم فيما يتعلق بالصور والأشكال . ذلك بأن الديانات الثلاث الإسلام والنصرانية واليهودية ترجع إلى مهد واحد هو الجزيرة العربية . فاللون الدينى واحد ، وسورة الأداء تكاد تكون واحدة » ! فقد رأيت الآن ! لقد صارحك صاحب النثر الفنى بذات نفسه ، لا عن القرآن فقط وتقليده حتى الوثنيين فى الصورة والشكل ، ولكن عن الأديان الثلاثة كيف أنها كلها بنت البيئة ، بنت الجزيرة العربية ، ولك أنت أن تسأل لماذا أغفل الوثنية فلم يجعلها رابعة البنات !

الرجل بقوله هذا قد وضع بين أيدى الناس المفتاح إلى مذهبه فى القرآن والدين ، وليس النص السابق فلتة فاتت الرجل ، فقد ذكر رأيه فى الدين وفى القرآن فيما كتب بعد النثر الفنى بما يتفق مع هذا الذى كتب فى « النثر الفنى » وأين ؟ سأخبرك ببعض ذلك ، وفى البعض بلاغ

كان الأستاذ أحمد أمين علل فقدان الملاحم والمنظومات الطويلة في الشعر العربي بتقيد الشعراء بعد العصر الجاهلي بقيود الشعر الجاهلي ، فرد الدكتور زكى مبارك عليه يقول فى صفحة ١٣٩٣ من العدد ٣١٥ من الرسالة « إن عبقرية العرب ليست فى القصص وإنما عبقرية العرب فى الغناء والتعبير عن الأنفاس الروحية . وفى بلاد العرب نشأت الديانة الموسوية والديانة العيسوية والديانة المحمدية ؛ فإن امتازت لغات الشرق والغرب بالمنظومات الطويلة فى القصص والتاريخ ، فقد امتازت لغة العرب بأكرم أثر عرفه الوجود وهو القرآن . وهو حجة اللغة العربية يوم يقوم التفاخر بين اللغات بالأحساب » والأستاذ أحمد أمين كان يتكلم عن أدب العرب مقارناً إياه بأدب غيرهم من الأمم والشعوب ؛ فهذا الرد من زكى مبارك لا يصلح رداً إلا أن تكون الديانات الثلاث من وضع العرب ؛ وإلا أن يكون القرآن من أدب العرب كذلك

* * *

وبعد ، فقد كنت أسندت إلى زكى مبارك تهماً ثلاثاً : أنه يدعو إلى نقد القرآن ، وأنه ينكر إعجاز القرآن وأنه يكاد يصرح بأن القرآن من كلام البشر ، وطلبت إليه أن يتبرأ أو أثبت ، فأجاب إنى لا أفهم كتابه ، وأنه لا يتبرأ منه ولو ذهب معه إلى جهنم الحامية ، فكان لا بد من الإثبات . وقد فعلت ، وإن لم أستقص ما فى كتابه وما كتب بعده من دليل . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

محمد أحمد الغمراوى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٥١ — ومخبر النساء بعد المنظر

عيّرت امرأة حكيما بقبح المنظر . فقال لهـا : يا هذه ، إن منظر الرجال بعد المخبر ، ومخبر النساء بعد المنظر ...

٥٥٢ — ثلاثون خاتما وثلاثون عكازاً

في (تاريخ بغداد) للخطيب : قال عبد الله بن محمد بن شهاب : كان لخلف بن عمرو العكبري ثلاثون خاتماً وثلاثون عُكازاً ، يلبس كل يوم خاتماً وعكازاً[1] طول شهره . فإذا جاء الشهر المقبل استأنف لبسها . وكان له سوط معلّق ، فقلت له : ما هذا؟ فقال : ما رُوي : (علّق سوطك يرهبك عيالك)[2]؟ وكان ظريفاً ...

٥٥٣ — خطبة في الصلح

في (محاضرات الراغب) : خطب رجل في الصلح ، فقال : أما بعد ، فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال ، والسلام

٥٥٤ — عجائب

في (الأغاني) : أحمد بن الطيب السرخسي : حضرت مجلس محمد بن علي بن طاهر ، وحضرته مغنية (يقال لها شنين) مشهورة فغنت (قول دعبل) :

لا تعجبي يا سلمَ ، من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكى

ثم غنت بعده (والشعر لدعبل) :

لقد عجبتْ سلمى وذاك عجيب رأت بي شيباً عجّلته خطوبُ

فقلت لها ما أكثر تعجب سلمى هذه ! فعلمت أني أعبث بها لأسمع جوابها ، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة :

فَـهلكُ الفتى ألاّ يُراحَ إلى نَدًى وألاّ يرى شيئاً عجيباً فيعجبا[1]

فعجبتُ والله من جوابها وحدّته وسرعته ، وقلت لمن حضر : والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لـكان كثيراً منه مستظرفاً

٥٥٥ — اخترت استعمال الصواب فيك

في تاريخ بغداد للخطيب : قال قال المأمون لأبي حفص عمر بن الأزرق الكرماني : أريدك للوزارة

قال : لا أصلح لها يا أمير المؤمنين

قال : ترفع نفسك عنها

قال : ومن رفع نفسه عن الوزارة ، ولـكني قلت هذا رافعاً لها وواضعاً لنفسي عنها

قال المأمون : إنّا نعرف موضع الكفاة الثقات المتقدمين من الرجال ، ولـكن دولتنا منكوسة ، إن قوّمناها بالراجحين انتقصت ، وإن أيدناها بالناقصين استقامت ؛ ولذلك اخترت استعمال الصواب فيك ...

٥٥٦ — أفتانا به الإمام أبو إسحق

قال محب الدين بن النجار في تاريخه : قال شعيب بن الحسين القاضي أنشدني الشيخ أبو إسحق الشيرازي[2] هذين البيتين لنفسه :

جاء الربيع وحسنُ وردهْ ومضى الشتاء وقبح بردهْ

فاشرب على وجه الحبيب[3] ووجنتيه وحسن خـدهْ

ثم بعد مدة كنت جالساً عنده فذكر بين يديه أن هذين البيتين أنشدا عند القاضي عين الدولة حاكم صور (بلدة على ساحل بحر الروم) فقال لغلامه : أحضر ذلك الشان فقد أفتانا به الإمام أبو إسحق . فبكى الشيخ الشيرازي ، ودعا على نفسه ، وقال : ليتني لم أقل هذين البيتين ! ثم قال لي : كيف تردها من أفواه الناس؟ فقلت : ياسيدي ، هيهات ! قد سارت بهما الركبان

---

(١) ويحمل عكازاً ، ومثله

إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

إنما أراد وكحلن العيون . والزجج دقة في الحاجبين وطول ، وقيل أطاله بالأثمد (اللسان ، التاج)

(٢) (في مجمع الأمثال) : علق سوطك حيث يراه أهلك . هذا يروى عن النبي (عليه الصلاة والسلام) والمعنى اجعل نفسك بحيث يهابك أهلك ، ولا تغفل عنهم وعن تخويفهم وردعهم

(١) راح له يراح : أخذته له خفة وأريحية

(٢) صاحب البيتين : (سألت الناس عن خل) وفيه يقول الشاعر عاصم من بغداد :

تراه من الذكاء نحيف جسم عليه من توقده دليل

إذا كان الفتى ضخم المعالي فليس يضره الجسم النحيل

(٣) قال ابن خلكان : كان في غاية من الورع والتشدد في الدين . وقال السبكي : شيخ الاسلام ، صاحب التصانيف التي سارت كسير الشمس

نحو أدب قومي

الوادي المقدس

للأستاذ سيد قطب

على ضفافِ الخلودْ وفي شِعابِ الزمنْ
والدهر يحبُو وليدْ قد كان هذا الوطنْ

يا فجرُ مَنْ ذا رآكْ تجولُ تلكَ السماءْ
وليسَ حيٌّ سِواكْ تهدى إليه الضياءْ ؟

رأتك تلك الضّفافْ رأتكَ تلك البُرورْ
رأتك قبل المطافْ وأنتَ طفلٌ غريرْ

وشبتَ والدهر شابْ وحنّكتْكَ الحياهْ
والنيلُ بادي الشبابْ والزهر يَقفو خُطاهْ

ينسابُ مثل النّغَمْ في عزف ناي طروبْ
وكانسيابِ الحُلُمْ تضفي عليه الغيوبْ

خريرُهُ صلَواتْ معطّراتُ النشيدْ
وموجُهُ أغنياتْ مرتّلاتُ القصيدْ

يا نيل كم من شِراعْ يا نيل كم من سَفِينْ
أسلمتَها للوداعْ على مدار السّنينْ

يا نيل كم من جموع ماجت بتلك الضفاف
يا نيل كم من زروع وذي وذي للقطاف

وأنتَ صِنوُ الخلود وفي يديْك الزّمام
وكل عام تعود مُجدِّدَ الأيام

تجري فتجري الحياه ويُمرِعُ الشاطئان
ويستفيقُ الرُّعاه وتمرح القُطعان

ويَنشطُ الزرزور يجمّع العيدان
لعشه المعمور بفرخه الوسنان

أكادُ خلفَ القرون أحس رِكْزَ الجموع
أراهُمُ مُهطعين في موكب للربيع

قد شمروا للحصاد وخلّفوا أمشير
في فرحة الأولاد تسابقوا للبكُور

وموكب للرّواح في كل يوم يؤوب
يزفّه الفلاح على مدار الغروب

من الحقول المَريعه إلى الحِمى والديار
تضم فيه الطبيعه أبناءها الأبرار

لحونُه من صياح ومن رُغاء النّعَم
ومن رجيع النُّبَاح ومن ثُغاء الغنم

على مدار القرون يسير فيه الرُّعاه
كأنهم خالدون ما بدّلوا في الحياه

أحبُّ فيكَ الخلود يا أيهـا الوادي
أحب فيك الصمود للقاهر العادي

تصبُّ فيكَ الوفود وأنت يقظانُ ساهر
تصوغهم من جديد كأنما أنت ساحر

يا مهبط الأسرار من الغيوب العميقه
يا موطن الأسحار من القرون السحيقه

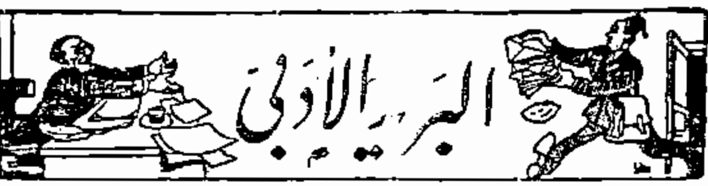
تأوي إليك الزمان خوف البِلَى والفناء
يأوي لحصن الأمان فيستمدُّ البقاء

ووجهك الفتان بلونه الأسمر
يا طالما يزدان بزرعك الأخضر !

ترنو له عيناي في فتنة العاشق
يا أرض يا دنياي يا آية الخالق

يا أرض كم تحلمين بالزهر أحلام شاعر
رؤاكِ طولَ السنين يا أرض، تلك الأزاهر

وريحك المعروف يشمه أنفي



٧ – الشعر الجديد

يلحق بالشعر الجديد ما يدعونه اليوم (الشعر المنثور). ويكاد النوعان يتطابقان فى جميع المظاهر والخصائص التى ألممت بها فى هذه الأحاديث. وغالب ما قرأت من (المنثور) منشأ إنشاء؛ ومنه ما هو مترجم. وما يستجاد من هذا أو ذاك لا يكاد يذكر

ولقد كنت أحسب بادئ الرأى أن رحب (المنثور) وانفساح جنباته، وأنه غير منحصر فى وزن أو قافية – مما يأذن لسلامة التعبير ومتانة الأداء. ولكنى وجدت الحال هى الحال. فإن كان لهم شىء مما يزعمون من المقدرة، فهنا مجاله. وإلا فأين نتلمس (نضارة الزهر، وعبق الريحان، وفتنة الألوان)؟

وعلى ذكر (القافية) يعن مظهر آخر سوى ما أسلفنا – من مظاهر (الشعر الجديد): ذلك هو قلق القوافى فيه ونبوها، حتى إنك لتحس أنها تحشر حشراً، وتساق سوقاً، وتضغط فى أماكنها ضغطاً، فتأتى واهنة خائرة، أو باردة فاترة

ورصانة القافية تنبئ بالفحولة ورسوخ القدم. وقديماً اعتبرها النقاد من أسس الموازنة، ومقومات المقايسة بين الشعراء. وقد عنى بها (العروضيون) فبسطوا فيها القول، ونسقوا لها القواعد، وأفردوها بالتأليف؛ حتى وصلوا من ذلك إلى تفصيلات دقيقة، وتفريعات عجيبة. وذلك لمكانتها من القصيد، وأثرها فى النفوس، متى اكتملت فيها شرائط الحسن، واستحكمت لها أصول الفن

ولسنا بصدد طرق هذا الباب؛ وإنما نريد أن نقول لهؤلاء النظامين: رويدكم؛ فإن الأمر ليس من الهون كما تظنون؛ فإحكام القافية وإنزالها منزلتها، مما يتطلب تحصيلاً عظيماً، وحساً مرهفاً، ومعاناة طويلة للجزل من الكلام، والمحكم من القريض

فلا غرو إذاً أن ندرك سر تبرم القوم بالقوافى؛ فقد تواترت اليوم صيحات تدعو إلى (كسر هذا القيد، وخلع ذلك النير). قالوا: وما للتقفية والشعر! لئن كانت التقفية سبيل القدماء ومنبت عصورهم، لخير لنا فى عصرنا هذا أن نطرحها، لنكون فى التفكير أكثر سداداً، وفى الخيال أبعد مرمى، ولنكون سراعاً كل شىء

قالوا هذا، وقالوا كثيراً غيره، وأوغلوا فى الاحتجاج، فأصبحنا نرى من القصائد ما لا تقفية له مطلقاً، وما نوعت فيه التقفية على أوضاع وأشكال شتى، وصور لا تكاد تنحصر

فالسر – فيما أرى – ليس فيما زعموا. وإنما السر كل السر فيما يقوم فى سبيل التقفية – ولا سيما إن طالت فى القصيدة – من عقبات، وما يعترض من شدائد. فكيف النجاة إلا فيما يتمحلون وما يفتعلون من أسباب؟

وبينما أنا أهم باختتام هذه الكلمة، إذ خطر لى حوار كان بين أديبين(1) – منذ قريب – حول ما يسمى (الشعر المهموس) وهو ما يمكن أن تتسع له أحاديثنا هذه. وكان فى نفسى منه شىء. وهو فن ابتدع حديثاً، فيما أظن

(1) على ما أذكر. ولعلهم أكثر. والموضوع ليس فى متناول يدى الآن. وإنما اعتمدت فيه على الذاكرة

فى خاطرى مألوف مميز العرف

يا أرض، هذا الصعيد مقدس فى ضميرى
سرى عليه الجدود وأخلدوا للقبور

يكاد فرط الحنين إليهم فى شعورى
يردهم شاخصين إلى خلف الدهور

يا أرض سر دفين مغيب فى ثراك
يردنا موثقين إليك أسرى هواك

هذا الثرى المنثور فى صفحة الوادى
عرفته فى الضمير رفات أجدادى

يا أرض. هذا النشيد من وحيك العبقرى
فاقضى له بالوجود بسرك القدسى

(حلوان) **سيد قطب**

ولقد كنت جهدت فى تبين مدلول (الهمس) فى ذاك الحوار ، مستأنساً باللغة ، فلم أوفَّق كل التوفيق . فانصرفت إلى الشعر الذى ساقاه للتصوير ، وتأملته وأممنت فيه

وكان أحد المناقشين يتعصب لشعراء (المهجر) أشد التعصب ويقدّمهم فى هذا الباب ، وينكر على المصريين – فيما أذكر – استعدادهم فيه . وساق كل من المتناظرين مقطوعات مختلفة . وطال النقاش

إلا أنى لم أتذوق فى الشعر المصرى مذاقاً خاصاً ، لم ألمح فيه لوناً أو طعماً خاصاً – أما الشعر المهجرى فكان من صفته الوَنَى والفتور والتهافت ، وإن حاول الأستاذ – جاهداً – أن يُحمِّله من المعانى ما لا يحتمل ، وأن يعتصر منه ما ليس فيه . ولقد عجبت من هذا الاختيار ، وفى (المهجر) شعراء ذوو مكانة سامية ، ولهم فن مستملح ، وتجديد عذب

فليت شعرى ما (الهمس) فى الشعر وما مرماه ؟

(للحديث بقية) (ا . ع)

كتابة الإسبانية بالحروف العربية

أورد حضرة الأستاذ الجليل « ن » فى العدد ٥٦٢ من الرسالة خبراً حول كتابة اللسان الإسبانى بالحروف العربية استحدثه من أستاذنا الدكتور باول كراوس

وكأنى بكثير من الناس لا يعرفون عن هذه الحقيقة التاريخية إلا اليسير ؛ لذلك أحببت أن أقدم إلى أصدقاء « الرسالة » لمحة سريعة عن الظروف التى أحاطت بهذه الكتابة راجياً أن تتاح لى الفرصة للتحدث عن أدب المورسكيين الذى كان جله يكتب بالحروف العربية

بعد أن استرد الإسبانيون غرناطة – آخر معقل لدولة الإسلام فى الأندلس – ظل كثير من المسلمين Moriscos يعيش فى كنف الدولة الجديدة المنتصرة . ولكن سرعان ما اشتدت وطأة محاكم التفتيش عليهم ، فحملوا – أمام هذا الضغط – على استعمال اللغة الأعجمية Aljamia فى حياتهم الاجتماعية . ولم يكن فى وسعهم حينئذ أن يكتبوها بالحروف اللاتينية ؛ فلجأوا إلى حروف لغتهم العربية

وفى سنة ١٦٠٩ أُقصى المورسكيون عن إسبانيا واندثرت لغتهم التى استحدثوها ، فقُضى بذلك على آخر مظهر من مظاهر الأدب الإسلامى فى الأندلس

والأدب الأعجمى ككل أدب ، له ناحيتان : النثر ، ويتمثل فى كتب الدين والشريعة وسير الرسل . والشعر ، وقد نظمت به المدائح النبوية وقصة يوسف

وها هى ذى بعض الأبيات من قصة يوسف نظمها باللغة الأعجمية شاعر مجهول عاش فى القرن الثالث عشر والرابع عشر :

حديث دا يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

لُوَ مِيا نتَ أُدَ اللهِ أَلَلْتُ يَاشْ إبارْدَادَار
أَنْرِدُ إقُنْبِلِدُ شانِرْ دَارَايْنْمُورَار

ثم يسترسل فى ذكر الصفات الإلهية حتى يصل إلى قول يوسف لأبيه :

أَكاشْتُ فُوَا كابِيُ أَنْزَ أَشْتَرَالّشْ
كامرّشْ لفَرَّارَ تَيَاىَ كُنَالّشْ
كالْشُلْ إلُلُنَ أَرَكا أَنْدَبَ أَنْتَرَالّشْ

ومعناه : « إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »

ولا تزال خزائن المورسكيين مدفونة لم يكشف فى القرن التاسع عشر إلا على القليل منها . ولعل فى استخراجها من مدافنها ما يوضح مدى النشاط الفكرى الذى بلغه هؤلاء القوم المذنون .

أحمد مدينة

البيت الذى يعدل ألف بيت

قرأنا فى العدد الأخير من « الرسالة » رأى الأستاذ دريني خشبة فى بيت للدكتور إبراهيم ناجى وهو يعدله بألف بيت من جيد الشعر

ونحن نرى أن البيت الذى يعدل ألف بيت من جيد الشعر هو بيت الرئيس أبى منصور على بن الحسن (صردر) :

ناشلتنا بنوافذ مسمومة ووددت لو قبلت سهم الرامى

من قصيدته :

يا ماء « لينة » لو نفعت أوامى
كانت حياضك لى كئوس مدام

أما البيت :

ومن عجب أحنو على السهم غائراً
ويسألنى قاسى متى يرجع الرامى

فيعدل بيتاً واحداً ، لأنه مأخوذ عن الرئيس أبى منصور بتصرف

محمد على خليل

بقايا نغم

نشر الأستاذ محمود حسن إسماعيل قصيدة فى العدد الماضى من « الرسالة » الغراء بهذا العنوان ورد فيها ما يأتى :

وفيها أنت يا ليلاىْ سلوٌ يانعٌ لبكاىْ
وفجر رائع لدجاىْ وخلد سامع لغناىْ
يملنى ويوحينى

أما أنت ياليلاى سلو يانع لبكاى ، فهذا كلام جميل وإن كان السلو لا يوصف بأنه يانع ، وأما قوله (يملنى ويوحينى) ، فذلك خطأ محض إذ ليس من اللغة الصحيحة أن أقول (يوحينى) بمعنى (يوحى إلىّ أو لى) ولو قال (يُحْيينى) لكفى نفسه هذا الاضطرار الذى أوقعه فى خطإ واضح

هذا وللأستاذ تقديرى وثنائى على أى حال .

عبد القادر محمود

« كتاب الفلاحون » والدكتور غلاب

طالبنا الدكتور غلاب بالأدلة على جور الأب عيروط أحياناً وعلى ركاكة أسلوب الترجمة ، فاليه بعض هذه الأمثلة بلا تعليق :

١ — جاء فى ص ١٥٨ : إن الشدة القرآنية تلين أمام الضرورة والتقاليد

٢ — وجاء فى الصفحة نفسها : إن جرائم القتل بسبب العرض التى هى لا تزال مألوفة إلى حد كبير والتى هى مجندة من الإسلام ، إن لم تكن من أوضاعه تلقى رحمة العدالة الرسمية (أى فى المحاكم !)

٣ — وجاء فى ص ١٦٠ : أن الأم التى تلد تلحقها نجاسة شرعية مدة (أو إبان كما يقول السيد غلاب) أربعين يوماً إن كان المولود ولداً أو ثلاثين إن كان بنتاً !

٤ — وفى ص ١٦١ يقول بعد أن شنع كثيراً على عادة إطالة مدة الرضاع : ونحن نشاهد نفس هذا التعيين فى مدة الرضاع عند قدماء المصريين وفى أفريقيا السوداء وفى أوامر القرآن !

٥ — وجاء فى ص ١٢٥ : إن الفلاحين يقومون بطقوس الصلاة بعد الوضوء مساء !. ويوم الجمعة مرات عديدة ! وأنهم يصلون جماعة ، أو على الأقل يصورون هيكل حركات الصلاة !

٦ — وفى ص ١٣٣ : « إن النساء الباكيات على الميت (يؤنبن الإله على دعوته إياه !) ويسائلن الميت وزوجته وأولاده بل والموت نفسه » وينتهى الكلام بلا معنى عند هذه العبارة ! فعم التساؤل ؟

٧ — وفى ص ١٢٤ : ينفى عن الفلاحات ملاحظة شىء من قواعد الإسلام حتّى الشهادتين أو الصوم أو الزكاة

٨ — وفى ص ١٥٦ : رمى الفلاحات المصريات جميعاً بالعهر والدعارة وعدم الصون !

٩ — وفى ص ١٨ يتهم الفلاحين بأنهم يقدسون الحيوان ، كما كان يصنع قدماء المصريين !

١٠ — وفى ص ١٢٥ : إن المسلمين لا يفهمون عربية القرآن الأدبية !

* * *

فهذه عشرة مآخذ من عشرين أعددناها فى مقال أشفقت « الرسالة » من نشره . فهل يأبى المترجم إلا أن نزيد ؟! وهل يرضيه هذا اللون المكشوف من النقد ؟ أما ركاكة الأسلوب فالكتاب كله شاهد على ذلك ، وفى نشر شىء منه تضييع لوقت القراء

(د . غ)



عمي حسن

للأستاذ نجيب محفوظ

رحماك اللهم ! ماذا فعلت ؟ ... أين جلدي وأين رشادي ؟ ... وكيف أداري خجلي حيال هذه الشعيرات المحترقة ؟ ... وكيف أستمع لنجوى هذا الرأس الكبير الذي ظل – ستة وأربعين عاماً – ملتقى لتجارب الحياة ، يحتفظ منها بما يشاء ويعتبر بما يشاء ؟! ... فهل حقاً خانني البصر وهل حقاً خانتني الإرادة ؟ ... أو إن عمق إحساسي بالخجل والخيبة هو الذي كبر الهفوة لناظري وضاعف من أثرها في شعوري ؟ ... والحق أني لم آت أمراً أشذ به عن سنة الطبيعة ، بل لو كنت ذا فطنة لأيقنت من زمن طويل أنه ما من هذا المصير مفر ... ألم ألق بنفسي في مرتع الحسن الصبيح والشباب النضير أشهد نضجه واستواءه ؟ ... فمن أين كانت لي قوة أصد بها نزوع القلب عن أن يجني من حصاد الهوى ما يروى به غلة فؤاد أضناه الترمل وعناه التوق إلى الأليف

وقد عرفت «فيفي» وهي في المهد بعد أن نورت الدنيا بأسبوع واحد ، وكنت في ذاك الوقت في الثلاثين وأنتظر مولوداً أيضاً . وأذكر أني كنت أوصي زوجي – ضاحكاً – أن تكثر من النظر إلى وجه طفلة جيراننا علّ مولودنا المنتظر يقبس من روائها حسناً . ولم يكن يفصل بين الشقتين سوى ردهة قصيرة جعلت الصغيرة – حين دعاها الداعي إلى تعلم الحبو والمشي – تقطعها حبواً ومشياً ، فنمت رويداً رويداً تحت سمعي وبصري ، لها منتهى ودي وحبي وحناني ، بل لكأنها ما كانت تتحرك وتنمو إلا بالحرارة التي يسكبها حبي على قلبها الصغير . وزاد هذا الحب وتضاعف حين ابتلاني الدهر فسلبني زوجي ثم ابني الصغير ، فعلقتها بجنون ووجدت فيها سلوة وعزاء . وأحبتها أختي – وكانت تقيم معي – فصرنا لها أباً وأماً . كان حسبي أن أنظر في عينيها الخضراوين أو أعابث شعرها الكستنائي أو ألبي نداءها فرحاً مسروراً إذا نادت « عمي حسن » ، وكان أبوها يضاحكني فيقول : « ما عرفت كفيفي طفلة تحب عمها أكثر من أبيها ! »

فيفي الصغيرة تلك هي التي أحببت فيما بعد حباً غير الحب الأبوي الأول . وإني لأتساءل متحيراً متى أحببتها هذا الحب الجديد ؟ أو كيف تحول حناني إلى عاطفة قوية وشغف جنوني وهيام حق ؟ ... هل تولد فجأة ذاك اليوم الرهيب الذي لا ينسى؟ هذا بعيد ، ففي مثل حالتي لا يأتي الحب فجأة ؛ بل كيف أقول فجأة وقد ترعرعت عمرها السعيد البالغ ستة عشر عاماً بين يدي وفي متناول أنفاسي ! إنما يمكن أن يقال إن بذرته ذرت في فؤادي منذ استوى العود الغض وارتوى بماء الشباب ، وامتلأ الصدر والخدان بالأنوثة ، وومض في العينين بريق الفتنة والملاحة ، فلم أعد أرى طفلة تلثغ باسمي أو تلهو بسلسلة ساعتي ، ولكن شابة حسناء ريا الشباب ناضرة الحسن تنفث الفتنة والهيام . هنالك بهرني الحسن وملأني الإعجاب . وكنت كلما دب دبيب الفتنة في قلبي تعوذت بالله وأنكرت مشاعري : ثم جفلت من مداعبتها ، فلم أعد أربت على خدها أو أعابث ذؤاباتها ، وهمت في أجواء من الغموض واللهفة والشوق المكتوم والحيرة القاتلة والشغف والخوف ، ولولا أني ممن يندر أن يفكروا في أنفسهم أو ينظروا في باطنهم لفطنت إلى حالي ، ولكني رحت أقنع نفسي بأن ما انتابني من اضطراب ما هو إلا أثر من إعجابي بالأنوثة الناضجة يتحد في قلبي بحبي الطاهر القديم . هكذا خادعت نفسي . على أني لم ألبث أن صحت يوماً وقد بلغت بي الوحشة حد الجنون – وكانت غابت أسبوعاً في بيت جدها – « رباه إن الحياة لا طعم لها بدون فيفي واعتراني شجن وكد ووجوم

وجاء يوم فرأيت قلبي على ضوء الشمس الساطع وبرح الخفاء ، وكنت أعبر فناء البيت إلى الطريق ، وكانت فيفي تلهو كحبوب عادتها بركوب الدراجة في الفناء . فلما رأتني مقبلاً اتجهت نحوي بدراجتها في رشاقة حتى صارت على بعد أذرع مني ثم رفعت عناها تحييني ، فاختل توازنها ، واضطربت بها الدراجة –

فهرحت نحوها حتى حاذيتها ، فاعتمدت بيسراها على كتفى الأيسر متفادية السقوط ، ونظرت إليها مؤنباً فطالعتنى بعينين ضاحكتين ، وقد شدت راحتها على كتفى وانغرست ركبتها فى قلبى ولم أسترد نظرتى فأدمت إليها النظر وقد لانت أساريرى . ثم ما لبثت أن ابتلعنى تيار عارم من الوجد والهيام فوددت بكل ما أوتيت من قوة وشغف لو ضممتها إلى قلبى . وجعل هذا القلب ينتفض كأن ركبتها مفتاح كهربائى يسلط على شغافه تياراً عنيفاً . هكذا انقطع الشك وبرح الخفاء . وبعد لحظات كنت ماضياً فى طريقى وقد انشغلت عن الدنيا جميعاً ، فلم أعد أشعر إلا بنفسى التى نبضت بحياة جديدة كدوامة ثائرة ، فأغلى طرب دفين ، ولكن لم يزايلنى شعور بالتهمة والخوف والحزن . وجعلت أتساءل « إلى أين تمضى بى يا قلبى ؟ » نعم إلى أين ؟ ... فهذا طريق غير مأمون العثار ، فأين منى خطى الشباب وقلوب الفتيان ؟ ... وهل أنا إلا « عم حسن » فاذا يقول والداها العزيزان لو علما بما جد فى قلبى ؟ ... كيف يريان جارهما الرزين الوقور وقد انقلب عاشقاً ولهان ؟ ... بل مالى أثقل على قلبى بالتردد والمخاوف ، فلأقل مع قلبى إن هذا الحب شىء طبيعى لا غرابة فيه ، وإنه لن يكون الأول أو الأخير من نوعه ؛ بل سأفرض أن جارى العزيز بارك بعطفه ما يختلج فى صدرى ، فكيف لى بعد ذلك أن أحولها من ابنة إلى زوجة ! وكيف أجعلها تنظر إلى عمها حسن فترى فيه حبيبها حسن ؟ وضاق صدرى والتهب جبينى وذكرت الصلعة اللامعة التى أتوج بها هامتى ، والشيب الذى يحرق فؤادى ، وثلاث أسنان قد قلعت ، وسنة جديدة قد نغضت ، فأكلت سيرى ممتلئاً شجناً وكآبة .

ولكن هل ارعويت ؟ ... كلا ... ففى اليوم الثانى جاءتنا إلى البيت خفيفة نشيطة كعادتها — وكانت أختى تصلى العصر — فأقبلت نحوى وجلست إلى جانبى يتألق ثغرها بالابتسام ، فأحدث مجيئها شفاء لما كنت أكابد من أوجاع الانتظار ، وهيج أسقاماً أنسى من هاتيك الأوجاع وأمر . وجدتنا منفردين فخلت أنى أنفرد بها لأول مرة ، وداخلنى اضطراب وقلق وهيام . ولم تكن أول مرة تخلو إلىّ وأخلو بها ، ولكن أجدت لى الخلوة هذه المرة شعوراً لا عهد لى به ، ووجدت فى أعماق نفسى حسيس أمنية يهمس لى لو تخلو لنا الدنيا كما تخلو هذه الحجرة ! ... لو تخلو فلا أخت ولا أب ولا أم ولا مخلوق سواها وسواى . هنالك تواتينى شجاعتى وتنجاب عنى الوساوس وتنحسر عن ناظرى غشاوة القنوط ... فمن لى بأن أطير بها إلى تلك الدنيا المقفرة ؟ ... وحولت إليها عينى فرأيت المرح والبراءة ، فثبتهما على وجهها المحبوب . وما كان أسعدنى رجلاً فى تلك اللحظة لو جثوت — أنا والأعوام التى أحملها على عاتقى — عند قدميها الصغيرتين مادا راحة راغب ضارع ... وشعرت بتحديق عينى فرشقتهما بنظرة صافية حتى أحسست الأرض تميد بى ، وتعمدت ما وسعتنى الحيلة أن أجعل لنظرتى معنى جديداً غير ما عهدت ، وأن أحمل عينى رسالة من أعماق الفؤاد لأجذبها من عالمها البرىء إلى دنيا آمالى وأحلامى . ولكن هل أدركت شيئاً ؟ ... هل بلغت الرسالة ؟ ... أما لو كان ذلك كذلك لتولاها الارتباك وخضبها الخجل ... فهل تعثرت فى الارتباك أو غض من طرفها الحياء ؟ اختلط على عينى الأبصار والتوهم واصطرع فى مجال إحساسى قوى الإدراك ونوازع الأمل . وعطفت رأسها عنى برشاقتها الحلوة فاستقر بصرى على خدها الوردى . وفى نشوتى وهيامى تجمعت وثبة الحياة الجارية فى كيانى فى رغبة واحدة لا تقاوم ... أن ألثم هذا الخد . وهوى عنقى نحوها فى ذهول الوجد فلثمتها ! والتفتت نحوى كالفزعة . ثم ضحكت ضحكة عالية ملأ رنينها أذنى ومشاعرى جميعاً ؛ ثم طوقت عنقى بذراعيها وقبلتنى فى خدى ! هل نلت المرام ؟ . رباه ! كانت قبلة اقشعر لسريان برودتها جسدى ، فجمد دمى فى عروقى ، وسكت قلبى عن الخفقان ، واحترق وجهى خجلاً . كانت الطفلة المرحة البريئة تقبل عمها حسن ، وكان مثلى كمثل مجنون عاد إليه رشاده فجأة فوجد نفسه متجرداً وسط قوم عقلاء . ألا ما أبعد الشقة بين الأفعال والنيات ! ألم تلتفت إلىّ فى رشاقة الغزلان ؟ ألم تطوق عنقى بذراعيها ؟ ألم تطبع على خدى قبلة ؟ ولكن أين من هذا كله الحب والولع ؟! وشق علىّ الخجل وشقت علىّ الخيبة ، وبينما راحت هى ، وكأنها نسيت كل شىء ، تروى لى ما شاهدت فى السينما أمس ، جعلت أحادث نفسى : رحماك اللهم ! ماذا فعلت ؟ أين جلدى وأين رشادى ؟ وتساءلت محزوناً : ألا يجمل بى أن أشد الرحال إلى بيت غير هذا البيت وحى غير هذا الحى ؟!

نجيب محفوظ